الإسلام و العنف: قراءة عقدية تاريخية

الدكتور: برامة أحسن
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية

تمهيد:

تعد ظاهرة العنف من أكثر الظواهر الإجتماعية التي تلقى إهتماما متزايدا من قبل الباحثين من علماء النفس و الاجتماع و غيرهم و لا سيما في هذه الفترة الحرجة من تاريخ الإنسانية التي تتسم بالصراع بمختلف أشكاله.

وفي إطار هذا الاهتمام العالمي بدراسة هذه الظاهرة لمحاولة فهم أصولها و منطلقاتها كمقدمة لاستيعابها يتعرض الإسلام إلى حملة شرسة تحاول ربطه بالعنف و تصويره بأنه هو المسئول عن مختلف مظاهر العنف في العالم .

و هذه الحملة و إن لم تبدأ اليوم و لكنها في اعتقادي الأشد على الإطلاق على المستوى الفكري و الإعلامي و المالي وذلك بهدف بناء حاجز نفسي بين الإسلام و الأجيال الصاعدة كمرحلة لخلق تجمع كبير للانقضاض على هذا الدين و أهله و الانتهاء منه فيما بعد أو على الأقل حصره في نطاق ضيق أو في زاوية من زوايا الحياة.

هذه المقدمات العامة تلقي الضوء على طبيعة الموضوع الذي أحاول عرض بعض جوانبه لبيان حجم المسئولية الملقاة على عاتق العلماء والباحثين في دفع هذه الشبهات و

تصحيح مختلف التصورات التي تثار حول الإسلام و التي من أكثرها رواجا و إحتلالا للصدارة الإعلامية قضية ربط الإسلام بالعنف.

و سأحاول من خلال هذا الإسهام المتواضع أن أتناول هذا الموضوع من جانبه النظري العقدي و من جانبه التطبيقي التاريخي...والله الموفق وهو يهدي السبيل

1- شبهة العنف و السيف:

من أكثر الاتهامات التي حاول المستشرقون التأسيس لها ،الإدعاء بأن الإسلام دين يدعو إلى العنف و التعصب و الكراهية و القتل و أنه دين يدعو إلى حرية المعتقد على المستوى النظري لكنه على المستوى العملي و أرض الواقع فإنه يعتمد على القوة و السيف بل إنه يجعل من قتال غير المسلمين ومحاربتهم واجب ديني.

وهذا ما حاول غولدتسيهر على سبيل المثال و البرهنة عليه من خلال الاستدلال بآيات من القرآن الكريم إقتطعها من سياقها العام الذي يجب أن تفهم من خلاله.

من ذلك قوله تعالى: ﴿ فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد ﴾ [1]

وقوله تعالى: ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله و اليوم الآخر و لايحرمون ما حرم الله و رسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية و هم صاغرون ﴾ [2]

و قوله تعالى : ﴿ قاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ﴾ [3].

1 - سورة التوبة : الآية 5.

2 - سورة التوبة : الآية 29.

3 - سورة التوبة : الآية 36.

وقوله أيضا: ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم و يخزهم و ينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين﴾ [1]

و توعد المخالفين بالنار و العقاب، ليصل إلى نتيجة سريعة الأولى و هي أن الإسلام دين لا يقبل التعددية والاختلاف لأن العالم في نظره ينقسم إلى مسلمين و كفار. وواجب المسلمين هو الجهاد ومحاربة هؤلاء حتى يقبلوا الإسلام أو الجزية أو الاستسلام.

أما النتيجة الثانية، فترتبط بشخصية النبي صلَّى الله عليه وسلَّم و انه نبي القتال و الحرب [2].

وقد شجع هذا المستشرقين على الاهتمام بأمر الجهاد في الإسلام وناقشوه كثيرا و آثاروا حوله الكثير من الشبه لتشويه صورته. فلفظة الجهاد أو القتال لا تحمل حسب منهجهم أية اختلافات أو معاني أو فروق. المهم عندهم أنها تعني سفك الدماء و السيطرة و الاستيلاء و الإكراه و الهمجية في مقابل الحوار و الإقناع.

وذهب بعض هؤلاء من أمثال "مور"، "غيتاني" أن الإسلام لم يصادف نجاحا إلا عندما كان يهدف إلى الغزو و أن ازدياد عدد المؤمنين يرجع إلى الانتصارات العسكرية و إكراه الناس على الدعوة الموجودة في تعاليم الإسلام .

و في نظرة المستشرقين إلى انتشار الإسلام و الفتوحات الإسلامية، نجدهم يحاولون التمييز بين آيات القرآن المكي و المدني. حيث يزعمون أن القرآن عمل على الترويج للأفكار السلمية في مكة مراعاة لحالة الضعف التي كان يعاني منها أما بعد الهجرة حين

1 – سورة التوبة : الآية 14.

2 – غولد تسهير، العقيدة و الشريعة في الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت، 1946، ص 27.

أصبح المسلمون في حالة من القوة فقد نبذوا وراء ظهورهم تلك التعاليم السلمية و أخذت المبادئ القتالية تحل محل التعاليم السلمية التي تدعو إلى حرية الانتماء الديني و العقدي.

وعليه فالاختلاف بين آيات القرآن المكي و المدني حسب نظرتهم لم يكن إلا مرحلة تكتيكية لا غير.

كما أن الإسلام حسب رأيهم قد استبدل كلمة الغزو و السبي المرتبطة بالحياة القبلية بالفتح والغنيمة...

ليصلوا إلى استنتاج في كون الإسلام دين للعنف و السيف و لولاهما لما عرف هذا الاتساع الكبير من آسيا إلى أوربا.

و لم تختلف نظرتهم للفتوحات الإسلامية عن خط التعصب و الأنانية فسيف الإسلام حسب رأيهم هو من أخضع شعوب إفريقيا و آسيا شعبا بعد آخر. و ينقل شوقي أبو خليل عن المنسنيور كولي قوله: في القرن السابع للميلاد برز في الشرق عدو جديد ذلك هو الإسلام الذي أسس على القوة وقام على أشد أنواع التعصب لقد وضع محمد السيف في أيدي الذين اتبعوه و تساهل في أقدس القوانين الأخلاقية وسمح لأتباعه بالسلب و وعد الذين يهلكون في القتال بالاستمتاع الدائم بالملذات " [1].

و تتمحور مختلف آراء هؤلاء أن الحماس الديني لم يكن الدافع الذي لحمل العرب للقيام بهذه الغزوات الواسعة بل إن الجوع و الحالة الاقتصادية الشديدة و الطمع في ثروة الأكاسرة و القياصرة وحبهم للغنائم كانت هي الدوافع الحقيقية لتلك الفتوحات.

و ينحو فليب حتى في كتابه " تاريخ العرب " نفس الاتجاه. حيث يزعم أن الحاجة المادية هي التي دفعت البدو و أكثر جيوش المسلمين إلى مواطن الخصب في بلدان الشمال

1 - شوقي أبو خليل الاسلام في قفص الاتهام . د ط.دار الفكر .الجزائر 1993ص:93

و لئن كانت الآخرة أو شوق بعضهم إلى بلوغ جنة النعيم قد حبب إليهم الوغى إلا أن إبتغاء الكثيرين حياة الهناء و البذخ في أحضان المدنية التي إزدهر بها الهلال الخصيب كان الدافع الذي حبب إليهم القتال" [1].

و لم يكتف هؤلاء بمحاولة تجريد حركة الفتوحات الإسلامية من عمقها الديني والإنساني كمقدمة تمهيدية لوصفها فيما بعد كأية حركة استعمارية لا غير بل إننا نجد بعض المستشرقين يذهب بعيدا ليكشف بذلك عن مرجعية آراءه حين يتصدى لتحليل غزوات الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم في محاولة لسحب الشرعية عن تلك كما الغزوات.

فهذا يوليوس فلها وزن كما ينقل شوقي أبو خليل في كتابة الدولة العربية يقول بأن:

محمدا حاول أن يظهر اليهود بمظهر المعتدين الناكثين للعهد فإذا كان نهب أهل مكة قد يبرره طردهم له من بلده و مسقط رأسه و كذلك بالنسبة للقبائل اليهودية في المدينة فقد كان هناك على أي حال سبب ما – حقيقيا كان أو مصطنعا – يدعو إلى انتقامه منهم إلا أن خيبر التي كانت تبعد عن المدينة لم يرتكب أهلها في حقه و لا في حق أتباعه خطئا يعتبر تعديا منهم و هذا ما يفسر تلك الرغبة في شن غارات متتابعة.

إن استيلاء محمد على خيبر كما يقول : يبين لنا إلى أي حد أصبح الإسلام خطرا يهدد العا لم [2]

وقد تفنن غولدتسهير وبندلي جوزي في كتابه " الحركات الفكرية في الإسلام " وبرنارد لويس في كتابه " العرب في التاريخ " في وصف الغزوات و الحروب الإسلامية بأنها لم تكن إلا قتلا و دمارا و وحشية ومذابح لا يحكمها قانون أو ضمير.

---

1 – شوقي أبو خليل، المرجع السابق ص 190 – 195.

2 – المرجع نفسه .ص: 99

أما إيرفنج فقد حاول أن يفسر سرعة إنتشار الإسلام بأنها تعود إلى العقيدة الجبر التي بثها محمد في إتباعه فلضمان نجاح شؤونه الحربية فقد اعتمد محمد على عقيدة الجبر و أن كل حادث يقع في الحياة فإنما هو لوح في الخلد قبل أن يبدأ الله العا لم وهو بذلك يحاول تجريد الفاتحين من وعي حركة التطيير ومن الإرادة و الفهم.

و إذا كان الحقد و التعصب و الهوى هو ما دفع صنف من المستشرقين إلى التحامل على كل يحمل صبغة إسلامية حيث هاجموا الإسلام و نبي الإسلام و حضارة الإسلام لأهداف يعرفونها. إلا أن تحول بعض المفكرين العرب أو المسلمين إلى أبواق تردد شبهات و إدعاءات لهؤلاء المستشرقين يكشف عن ذلك الامتداد الأفقي للفكر الاستشراقي كخطوة منهجية تقوم على التشكيك في مختلف تعاليم وقيم الإسلام لتحضير الأرضية النفسية و الفكرية لقبول الخلاص المسيحي فيما بعد.

ولتحقيق هذا المشروع الفكري تم إختصار مختلف مظاهر و أسباب العنف في مصدر واحد هو الإسلام، ليصور كخطر وتهديد للمدنية و التطور و للإنسانية، فاجتهد هؤلاء و أولئك على تصوير الإسلام كدين للخوف و الترهيب و الخوف وشوّهت جميع تعاليمه العبادية و الأخلاقية و السلوكية.

ففضلا أن الإسلام حسب ادعائهم لم يأت بجديد و إنما كان ناقلا عن التوراة و الإنجيل و الحضارات التي قبله فإن تعاليمه تشكل تقييد للحريات و للفكر.

وما وضعية المرأة و الحجاب إلا دلائل تؤكد حجم العنف الذي يمارسه الإسلام ضد الإنسان.

إن هذه الإدعاءات و المفتريات التي يحركها الحقد و التعصب القديم للغرب المسيحي باعتبار أن الإسلام جاء لتصحيح الانحراف الذي أصاب التي عقيدة الألوهية في

كل من الديانتين اليهودية و المسيحية وهذا ما جعل الغرب المسيحي يعيش حالة من الخوف و الفزع منذ القرون الأول لانتشار الإسلام.

فقد نقل المستشرق أليكسي جورافسكي نصا يبين فيه مدى انزعاج رجال الكنيسة آنذاك من انفتاح الأوربيين على الحضارة الإسلامية بالأندلس قائلا: " اشتكى ألفارا أسقف قرطبة من كون المسيحيين الشباب يأخذون من الآداب العربية أكثر مما يأخذونه من اللاتينية، ويقرءون الأشعار و الحكايات العربية، ويدرسون مؤلفات الفلسفة و اللاهوتيين العرب، بينما يتجاهلون التعليمات و الشروحات اللاتينية على الكتاب المقدس " [1].

و منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 ، انتشر في العالم اليوم مصطلح جديد تم الترويج له من قبل الإعلام الأمريكي و الصهيوني، هو الإسلاموفوبيا وهو قمة ما أبدعه العقل الغربي في مواجهة الإسلام.

وقد ارتفعت حدة العداء للإسلام لا سيما عند المسيحيين بسبب عالمية الدعوة الإسلامية التي إعتبرواها تهديدا لوجودهم...إلخ.

و على هذا الاساس كانت الحروب الصليبية فيما بعد نوعا من التنفيس عن هذا الحقد التاريخي...

و أن التناقضات الداخلية للفكر المسيحي وعدم قدرته على الإجابة عن أسئلة (الوجود، الإنسان، الحياة) واستمرار التناقض القيمي للحضارة الغربية بسبب تضخم الأنا و تراكم الأحقاد التاريخية الدينية انتهاء بالرأسمالية التي أفرزت حالة الخواء النفسي و الروحي الإنسان الغربي المعاصر فضلا عن إنقاذه.

---

1 - ألكسيس جورافسكي، الإسلام و المسيحية، ترجمة خلف محمد الجراد .د ط .الكويت.1996 ص 45.

وقد كان حوار الثقافات و الديانات و الحضارات و الانفتاح الفكري العالمي مجالا يعرض فيها الإسلام مختلف آراءه في قضايا الوجود و الحياة و الإنسان التي كشفت القوة الذاتية للنص القرآني و قدرته على الاستحواذ على العقول و القلوب مما عزز القناعة لدى القوى المعادية للإسلام بأن تخويف الناس من الإسلام و إقامة حاجز نفسي بينهم ومن الإسلام يشكل أفضل سبيل لصرفهم عنه و في الوقت الذي تتواصل الحملة على وصف الإسلام بالعنف و تشويه تاريخه يتغاضى المستشرقون و تلامذتهم عن عشرات النصوص من الكتاب المقدس التي تدعو و تشجع على العنف ..

وأمام هذه الإدعاءات التي تتكرر في كل مناسبة وغير مناسبة فسأحاول إلقاء الضوء على بعض جوانب الموضوع منها :

1- العنف في الديانة اليهودية والمسيحية

2- حقيقة طبيعة رسالة الإسلام.

3- حقيقة الحرب (الجهاد) في الإسلام.

4- علاج ظاهرة العنف.

و الدارس لمصادر **العقيدة الدينية اليهودية** من قواعد و وصايا و شرائع و تعاليم و شروح سرعان ما يلمح ذلك الارتباط الوثيق بين الجانب العقدي و الجانب السلوكي الحياتي الذي يمارس كوظيفة إجتماعية إمتدادا للتصور العقدي.

وهذا ما يفسر لنا ذلك الانسجام بين المعتقد اليهودي في تصور حقيقة الألوهية، ونظرة ومفهوم اليهود إلى العنف و إلى باقي الشعوب.

و الحقيقة أن العنف في الديانة اليهودية، يعبر عن نفسية مريضة متعطشة للانتقام و سفك الدماء... فتعاليمهم الدينية تمرهم بالقتل و العداء و الكراهية كمطالب دينية مقدسة يتقربون بها إلى الرب.

ففي سفر التثنية " حين تقترب من مدينة كي تحاربها إستدعها للصلح فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك أبوابها فكل مولود فيها يكون لك للتسخير و يستبعد لك، هذا إذا سلمت المدينة ولم تحارب...

و إن لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها...فإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف.

أما النساء و الأطفال و البهائم و كل ما في المدينة فهو غنيمتك تغتنمها لنفسك هكذا نفعل بجميع المدن البعيدة عنك جدا...

و اما هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبا فلا تيتبق منهم نسمة...فضربا بحد السيف... تجمع كل أمتعها إلى وسط ساحاتها و تحرق بالنار " [1].

و في سفر الخروج " هكذا قال الرب إله إسرائيل ضعوا كل واحد سيفه على فخده و مروا وأرجعوا من باب إلى باب في المحلة و اقتلوا كل واحد أخاه و كل واحد صاحبه و كل واحد قريبه ووقع من الشعب في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل " [2]

1 – الكتاب المقدس، سفر التثنية، الإصحاح 20 : 10، 17 «دم» : جمعية الكتاب المقدس في الشرق الأدنى، 1977، ص 311.

2 – المصدر نفسه، سفر الخروج، الإصحاح 32 : 26، 29.

وفي سفر التثنية " متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتملكها و طرد شعوب كثيرة من امامك و دفعهم الرب إلهك أمامك و ضربتهم فإنك تحرمهم (تقتلهم)" [1]

و في صموئيل الأول " هكذا يقول رب الجنود ... فالآن إذهب و اضرب عماليق و حرموا كل ماله و لا تعف عنهم بل اقتل رجلا و امرأة طفلا و رضيعا و غنما و جملا و حمارا... [2]

و في سفر يشوع " و أخذوا المدينة وقتلوا كل ما في المدينة من رجل و امرأة، من طفل وشيخ وحتى البقر و الغنم و الحمير بحد السيف و أحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها"[3].

و في الإصحاح الثامن من سفر يشوع " و لما إنتهى إسرائيل من قتل جميع سكان " علي " في الحقل في البرية حيث لحقوهم و سقطوا جميعا بحد السيف حتى فنوا فكان جميع الذين سقطوا في ذلك البوم من رجال و نساء إثني عشر ألف جميع أهل " على " [4].

كما تعد التوراة بحق الكتاب الأول في التاريخ الذي قدم للإنسانية الدروس الأولى في الإنحلال الخلقي و الإباحية [5]. و نأبى عن ذكر النصوص الواردة في ذلك لما تحمله من عظيم البهتان و الكفر...

1 – المصدر نفسه، سفر التثنية، الإصحاح، 7: 1، 2، ص 290.
2 – المصدر نفسه، صموئيل الأول: الإصحاح 15 : 2، 3. ص 450.
3 – المصدر نفسه، سفر يشوع : الإصحاح : 6 . ص 345.
4 – المصدر نفسه، سفر يشوع ، الإصحاح : 8. ص 349.
5 – عبد الله التل، جذور البلاء، ط 3، المكتب الإسلامي، بيروت ، 1988، ص 38.

و نكتفي فقط بما ورد في سفر التثنية من دعوة إلى الغش و السرقة و الطمع ...

" لا تقرض أخاك بربا فضة أو ربا طعام أو ربا شيء مما يقرض بالربا. للأجنبي تقرض بربا. لأخيك لا تقرض بربا لكي يباركك الرب إلهك في كل ما تمتد إليه يدك [1].

وعلى أساس هذه العقيدة يعتقد اليهودي " أنه جزء من الله . و إذا ضرب أممي فلأنه يستحق الموت لأن اليهود لو لم يخلقوا لانعدمت البركة من الأرض و لما خلقت الأمطار و الشمس...

والفرق بين درجة الإنسان العادي غير اليهودي بين الحيوانات، هو كالفرق بين اليهود و باقي الشعوب. فالله يندم على تركه اليهود في حالة التعاسة و أنه يبكي كل يوم فتسقط من عينه دمعتان في البحر فيسمع دويهما من بدء العالم إلى نهايته و تضطرب الأرض في أغلب الأوقات فتحصل الزلازل "[2].

والحقيقة أن الوعود التي تكررت عشرات المرات في التوراة هي المسؤولة عن صياغة هذا المجتمع الدموي الذي لا يؤمن إلا بالأنانية و الغدر و القتل و المال و القسوة الوحشية و الإبادة و التخريب... إلخ. وأورث الإنسانية على مر العصور و الأحقاب داء عضالا إستعصى على كل دواء.

أمَّا بالنسبة للديانة المسيحية التي يشاع و يروج أنها هي الديانة الوحيدة للمحبة و السلم والتسامح... فخلو تعاليمها من أي لفظة للحرب يجعلها ديانة خالصة في المحبة و الفضائل فهي لا تشتمل إلا على مجرد تعاليم و نصائح أخلاقية بعيدة عن كافة أشكال العنف و الإكراه و قسوة.

---

1 – المصدر السابق، سفر التثنية، الإصحاح : 23، 19، 20.

2 – صابر طعيمة، التاريخ اليهودي العام .ط3.دار الجيل بيروت .1991 ، ص 112.

فأهم مبادئ دعوتها تقوم على ما ورد عن المسيح عليه السلام من قوله : " سمعتم أنه قيل : عين بعين وسن بسن، أما أنا فأقول لكم : لا تنتقموا ممن يسيء إليكم. من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر . ومن أراد أن يخاصمك ليأخذ ثوبك، فاترك له رداءك " [1].

وقوله أيضا : سمعتهم أنه قيل : أحب قريبك و أبغض عدوك، أما أنا فأقول لكم : أحبوا أعدائكم باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا من أجل اللذين يسيؤون إليكم ويضطهدونكم، فتكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات " [2].

وقوله للقديس بطرس " أعد سيفك إلى مكانه لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون.

غير أن هذه الصورة المضيئة للديانة المسيحية سرعان ما تصطدم بنصوص أخرى من الإنجيل نفسه. ففي متى يقول المسيح عليه السلام :

" لا تظنوا أني جئت لأحمل السلام إلى العالم، ما جئت لأحمل سلاما بل سيفا، جئت لا فرق بين الإبن و أبيه. و البنت و أمها، و الكنة و حماتها، ويكون أعداء الإنسان أهل بيته " [3].

وفي لوقا : " ثم قال لتلاميذه عندما أرسلكم بلا مال و لا كيس و لا حذاء هل إحتجتم إلى شيء؟ قالوا : لا.

1 – إنجيل متى 5 : 38 ، جمعيات الكتاب المقدس المتحدة، بيروت، 1987، ص 38، 39.
2 – المصدر نفسه . 5 : 43، ص 39.
3 – المصدر نفسه . 10 : 34 ص . 59.

فقال هم : أما الآن فمن عنده مال فليأخذه، أو كيس فليحمله، ومن لا سيف عنده فليبع ثوبه و يشتر سيفا " [1].

و إذا كان المسيح عليه السلام لم يحارب فهذا راجع لأن حياته في هذه الدنيا كانت قصيرة... فلم يعش حتى يرى للمسيحية في هذه الدنيا دولة و إمارة. " [2]

وقد حاولت المجامع الكنيسة منع الحروب نهائيا، ولما لم تتوصل إلى ذلك إكتفت بإقرار الاتفاقيات الآتية:

1- **سلم الرب (*la paix de dieu*)** : الذي أقر عام 1095 وهو يوصى بحماية زمرة من الأشخاص من الرهبان و الشيوخ و النساء و الأطفال و الأملاك و المدارس و أملاك الكنيسة بإبقائها بمعزل عن الحرب.
2- **هدنة الرب (*la trêve de dieu*)** : و التي أقرها مجمع كليرمون عام 1096 و توصى بمنع الحرب في الفترة الكائنة بين مساء الجمعة و صباح الإثنين من كل أسبوع و خلال الفترة التي تسبق عيد الميلاد وفترة الصيام التي تسبق عيد الفصح.
3- **التحكيم** : و يقضي بوجوب الاحتكام إلى الشخصيات الدينية، أو السياسية العليا، قبل اللجوء إلى الحرب.
4- **الوساطة** : و تتم بتدخل فريق محايد لتقريب وجهات النظر بين الخصوم [3].

1 - إنجيل لوقا . 22 : 35 . ص 347.
2 - عبد الودود شلبي، المرجع السابق، ص 95.
3 - تونسي بن عامر، المرجع السابق، ص 33.

إن الحروب الصليبية الطويلة تكشف عن أمرين مختلفين حياة عيسى السلام، و تاريخ المسيحية. و قد تحول هذا الخلاف مع مرور الزمن إلى خلاف بين الإلهي و الإنساني. و ربما هذا الذي دفع "نتشه " [1] إلى قوله إن آخر مسيحي مات على الصليب.

و عليه فإن تبني الكنيسة للعنف و الاستعمار...يفتح تساؤلات كثيرة عن حقيقة السلام المزعوم في المسيحية.

وبعد هذا العرض نحاول تحقيق دعوى ربط العنف بالإسلام.

2- حقيقة الرسالة الإسلامية:

لقد إرتبط إسم الإسلام بالسلام، فلفظ الإسلام الذي هو عنوان هذا الدين، مأخوذ من مادة السلام لأن السلام و الإسلام يلتقيان في توفير الأمن و الطمأنينة.

(و السلام جل جلاله) إسم من أسماء الله تعالى، ومعناه الذي سلمت ذاته و أفعاله و صفاته من كل ما لا يليق بكماله.

وجعل إسمه تحية من عنده إلى عباده الصالحين، قال تعالى: ﴿ تحيتهم يوم يلقونه سلام ﴾ [2] و الجنة دار السلام، قال تعالى : ﴿ و الله يدعوا إلى دار السلام و يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ [3] وجعل تحية الملائكة الكرام لعباده السلام ﴿ أدخلوها بسلام ءامنين ﴾ [4]

---

1 - فريديريك نيتشه (1844 – 1900) فيلسوف ألماني، مؤسس فلسفة القوة ... (موسوعة الفلسفة، ج 2، ص 568)

2 - سورة الأحزاب : الآية 44.

3 - سورة يونس : الآية 25.

4 - سورة الحجر : الآية 46.

وخاطب الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه و سلام بالسلام، فقال تعالى: ﴿ و إذا جاءك الذين يؤمنون بئياتنا فقل سلام عليكم . كتب ربكم على نفسه الرحمة . أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده و أصلح فأنه غفور رحيم ﴾ [1]

وجعل إسمه تحية المسلمين في عبادتهم و صولواتهم: " السلام عليك أيها النبي و رحمة الله و بركاته، السلام علينا و على عباد الله الصالحين ".

وجعل الخروج من الصلاة بالسلام ... ثم جعل الدعاء " اللهم أنت السلام و منك السلام تباركت يا ذا الجلال و الإكرام " وجعل أول كلمة عند دخول البيت السلام : ﴿ فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة ﴾ [2] وجعل تحية المسلمين فيما بينهم السلام؛ وإذا تخاصم المسلمان فخيرهما من يبدأ الآخر بالسلام.

و جعل الصلة بين المسلم و الجاهل هي السلام: ﴿ و عباد الرحمان الذين يمشون على الأرض هونا و إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ﴾ [3]

و القرآن الكريم نزل في ليلة كلها سلام: ﴿ سلام هي حتى مطلع الفجر ﴾ [4]

و في دعاء عيسى عليه السلام : ﴿ و السلام على يوم ولدت و يوم أموت و يوم أبعث حيا ﴾ [5]

---

1 - سورة الأنعام : الآية 54.

2 - سورة النور : الآية 61.

3 - سورة الفرقان : الآية 63.

4 - سورة القدر : الآية 32.

5 - سورة مريم : الآية 32.

وكان السلام نجاة و أمنا لسيدنا إبراهيم : ﴿ قلنا يا نار كوني بردا و سلاما على إبراهيم ﴾. [1]

وعلى هذا الأساس كان التوجيه القرآني في غالب الأحيان إمتداد لخط السلام الذي خطه الإسلام أمام المسلمين، فقد طالب الإسلام من المسلم أن يكون سلاما مع نفسه و أهله و مع أمته في جميع الأحوال والأفعال ، لقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين ءامنوا ادخلوا في السلم كافة و لا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾

كما يشيد القرآن الكريم بالسلام جزاء إليها للمحسنين الذين إستقاموا على منهج الإسلام، قال تعالى : ﴿ سلام على نوح في العالمين ﴾ [2]؛ ﴿ سلام على موسى و هارون إنا كذلك نجزي المحسنين ﴾ [3]؛ ﴿ سلام على إبراهيم كذلك نجزي المحسنين ﴾ [4]؛ ﴿ سلام على آل ياسين إنا كذلك نجزي المحسنين ﴾ [5]؛ ليتضح من ذلك أن الدعوة إلى السلم دعوة أصيلة من صميم العقيدة.

و على ضوء هذا المنهج الثابت تنبثق حضارة إنسانية متميزة تقوم على : العبودية لله وحده، والتجمع على آخرة العقيدة، و استعلاء إنسانية الإنسان على المادة وسيادة القيم الإنسانية التي تنمي إنسانية الإنسان لتحقيق الخلافة في الأرض و تحكيم شرعه...

---

1 - سورة الأنبياء : الآية 69.

2 - سورة الصافات : الآية 79.

3 - سورة الصافات : الآيات 120 – 121.

4 - سورة الصافات : الآيات 109 – 110.

5 - سورة الصافات : الآيات 130 – 131.

2- كما أننا إذا تتبعنا محتوى القصص القرآني و جدناه رافضا للعنف و هي المقصودة بالدعوات الأنبياء عليهم السلام . إتخذ من المجتمعات الإنسانية، مادة و موضوعا له، لقوله تعالى : ﴿ تلك القرى نقص عليك من أنبائها ﴾[1]؛ قال تعالى : ﴿فكلا أخذنا بذنبه . فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة و منهم من خسفنا به الأرض و منهم من أغرقنا و ما كان الله ليظلمهم و لكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾[2]

ولبطلان دعوى اتهام الإسلام بالعنف نشير إلى بعض الخطوط الكبرى منها:

دعوة القرآن الكريم المجتمع الإنساني يقوم على:

1- آصرة التجمع الإنساني على آصرة العقيدة بما تفرضه من أخوة و تعاون و تراحم ... لبناء وحدة إنسانية تتجه للتعارف لقوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾[3]

2- الدعوة إلى استعلاء الإنسان على المادة و الشهوات و الغرائز بتحرره من العبودية للمال أو للهوى أو للتقاليد...؛ قال تعالى : ﴿ أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا ﴾[4]؛ وقال أيضا : ﴿ قالوا وجدنا ءاباءنا لها عابدين ﴾[5]

---

1 - سورة الأعراف : الآية 101.

2 - سورة العنكبوت : الآية 40

3 - سورة الحجرات : الآية 13.

4 - سورة الفرقان : الآية 43.

5 - سورة النبياء : الآية 53.

فيتحرر بذلك من رواسب الضلالات و الأنانيات و الشهوات...فيتحرك حينئذ و حينئذ فقط في خط الخلافة و التعمير.

3- الدعوة إلى سيادة قيم التوحيد في الحياة بما تتملكه من شمولية و واقعية وعمق ... بإعادة الإعتبار للإنسان كخليفة في الأرض ... وتقرير مبادئ الحرية الفردية و العدالة و الشورى ... في مقابلة تلك الفلسفات التي تسخر من القيم الإنسانية ... وتلك الحضارات التي تريد أن تصيره حيوانا أو آلة.

و عليه كان الإهتمام بالإنسان فردا و جماعة من الإهتمامات الأساسية للقرآن الكريم بعد موضوع التوحيد لأن رسالة التوحيد لا تتحرك ضمن فراغ و إنما تتحرك داخل إطار إجتماعي بمختلف أبعاده و خصوصياته ...

يقول مالك بن نبي: " إذا نظرنا إلى مشكلات المجتمع الإنساني و حاولنا التفكير لإيجاد حل لها، فإن الحل لن يخرج عن أحد طريقتين :

-فالمشكلة واحدة و لكنها متصورة بمستويين، أو في نطاقين مختلفين : نطاق النفس الإنسانية من ناحية، وتطاق الزمن الإجتماعي من ناحية أخرى.

-و في إقرار مبدأ التعارف دعوة للحوار و السلم عوض الصراع و التباغض ... وفي بيان مقياس التفاضل بين البشر "التقوى" إلغاء للمقاييس الأخرى.

3- حقيقة الحرب في الإسلام:

إن الحرب التي تعلنها العقيدة الإسلامية تختلف في أهدافها و بواعثها و طريقتها عن باقي الحروب. **يقول السيد قطب** : " إن الإسلام منذ الخطوة الأولى ينفي معظم الأسباب التي تثير في الأرض الحروب، ويستبعد ألوانا من الحرب لا يقر بواعثها و أهدافها.

فيستبعد الحروب التي تثيرها القومية العنصرية [1]، لأنه يقر أن الناس كلهم من أصل واحد وأنهم خلقوا من نفس واحدة، وأنهم جعلوا شعوبا و قبائل ليتعارفوا فيستبعد بذلك الحروب التي تثيرها المطامع و المنافع: حروب الاستعمار [2] و الإستغلال ... فلا مكان فه لهذه الحروب، لأنه يعد البشرية كلها وحدة متعاونة...وهو يأمر بالتعاون على البر و التقوى لا على الإثم و العدوان، وهو يحرم السلب والنهب و الغضب ... وهو يعد البشرية كلها بالعدل المطلق، لأنه لا فارق بين جنس أو لون أو عقيدة في الاستمتاع الكامل بعدل الله في ظل شريعة الله في النظام الذي قرره الله.

كما يستبعد الحروب التي يثيرها حب الأمجاد الزائفة ... وقد جاء رجل إلى النبي صلَّى الله عليه وسلَّم فقال : "الرجل يقاتل للمغنم و الرجل يقاتل للذكر و الرجل يقاتل ليرى، فمن في سبيل الله؟ فقال صلى الله عليه وسلم : " من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله " [3]. و من هنا يتبين أن الحرب الوحيدة المشروعة التي يقرها الإسلام : هي من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا.

---

1 – القومية العنصرية : القومية تارة مرادفة للتعصب و التوسع و تارة مقيدة في عنصر من عناصر التاريخ أو الدين... (إلياس فرح تطور الإيدلوجية العربية الثورية، ط 7، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، 1979، ص 116)

2 – الاستعمار لغة من التعمير و في الإصطلاح هو حلول جماعة بأرض لاستغلال ثرواتها المختلفة، مما جعل البعض يراه استدمارا...

3 – سنن أبي داوود : كتاب الجهاد، رقم 3524.

و كلمة الله هي إفراد الله سبحانه بالألوهية و الربوبية و العبادة و الطاعة و الدينونة، فلا يعبد الناس إلا إلها واحدا و لا يدينون في نظام حياتهم و معاشهم إلا لما يشرعه و يأذن به و لا يستمدون مناهج حياتهم إلا من منهج الله القويم " [1].

ونظرا لأن الحرب في الإسلام تحمل دوافع و أهدافا ربانية سماوية و لا تحمل أطماعا و أهواء أرضية بشرية...فقد سماها الله تعالى جهادا.

ومن خلال التأمل في موقف القرآن الكريم من الحرب، وبيان دوافعها، و أهدافها ... تتراءى بعض الخطوط الكبرى لحقيقة الحرب في الإسلام...منها:

1- يؤكد القرآن الكريم أن السلم هو القاعدة و الحرب هي الاستثناء. حيث يقول الدكتور وهبة الزحيلي في شرح ذلك " رغم أن الحرب سنة من سنن الإجتماع البشري، و انها أكبر مظهر من مظاهر تنازع البقاء الذي هو وصف طبيعي ملازم لجميع الكائنات الحية لوجود غريزة المقاتلة. فقد ذهب فقهاؤنا أن الحرب في ذاتها قبيحة لما فيها من إزهاق النفوس و التخريب و التدمير. لقوله تعالى : ﴿كتب عليك القتال و هو كره لكم﴾ [2]

ولو كان ظاهرة طبيعية عادية لما صرح بأنه كره على النفس الإنسانية.

و عليه فالحرب ظاهرة إجتماعية و ليست أمرا طبيعيا في البشرية [3].

---

1 - سيد قطب، السلام العالمي و الإسلام، ط 5، دار الشروق، بيروت، 1980، ص ص : 22، 23.

2 - سورة البقرة : الآية 216.

3 - وهبة الزحيلي، أثار الحرب في الفقه الإسلامي، دار الفكر، دمشق، ص 56.

2- لم يشرع القرآن الكريم الجهاد لإكراه الناس على عقيدته أو للاستغلال أو الإنتقام كما هو الشأن في حروب كثيرة...وإنما شرعه لرد الظلم و الإعتداء على النفس و الأموال...

فقد نشأت الدعوة الإسلامية في بيئة حربية تؤمن بالعنف و تقدس القوة و تستبيح سفك الدماء و باءت حملة التعارف و الحوار التي إنتهجها الإسلام بالفشل فيجب أن يكون الطرف الآخر مستعدا لتقبل الحوار. و لذلك نزل الإذن بالقتال: ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا و إن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ﴾ [1]

وقوله أيضا : ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم و لا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾ [2] وهذه الآية الكريمة تحدد طبيعة مسار خط القتال، فهو ليس قتالا من أجل القتال، فالقتال ليس غاية لذاته، كما أنه لا يحمل هدفا ضيقا لاستئصال جنس من الأجناس..." [3].

3- الدفاع عن حرية العقيدة الدينية و مقاومة من يعتدون عليها أو يفتنون الناس في دينهم ويصرفونهم عن دخول الإسلام، لقوله تعالى : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة و يكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين ﴾ [4]

---

1 - سورة الحج : الآية 39.

2 - سورة البقرة : الآية 190.

3 - مصطفى الرافعي ... الإسلام نظام إنساني : منشورات مكتبة الحياة ، بيروت، ص 163.

4 - سورة البقرة : الآية 193.

يقول مرتضى مطهري في شرح هذه الحقيقة: " الدفاع عن حقوق الإنسانية، مقدم على الدفاع عن الحقوق الفردية و الاجتماعية، فهناك أشياء هي أفضل من حقوق شخص أو من حقوق شعب و هي أكثر قدسية، و الدفاع عنها أفضل من الدفاع عن الحقوق الشخصية، عند الضمير البشري و تلك الأشياء هي المقدسات الإنسانية...والحرية في عداد المقدسات البشرية... " [1]

و لذلك كان الدفاع عن الحق لإعلاء كلمة الله و تخليص الشعوب المرهقة من أثقال الظلم و أوزار الإستبعاد و الإستغلال من صميم واجبات العقيدة الإسلامية، في سعيها لتحرير و إنقاذ الإنسان والإنسانية من الإلحاد و الضلال و الأوهام من أجل تنقية الجو العقلي الإنساني بإقرار العدالة وتكريم الفضائل و المثل الإنسانية العليا و أداء الأمانة و تفتيت الطبقات و إلغاء العنصرية...

و لذلك كان حمل السلاح في منطق العقيدة الإسلامية لمكافحة الإفساد في الأرض في سبيل التعمير والبناء الحقيقي لحياة إنسانية، يسودها السلم و الرقي. فتكون على هذا الأساس حروبا مشروعة مقدسة تحمل أهدافا سماوية مقدسة تتجه إلى تحرير الإنسان و الإنسانية [2].

4- في الوقت الذي تقدر فيه العقيدة الإسلامية مشروعية القتال و الجهاد، فإنها لا تسمح بأي نوع من الحرب...كما أنها لا تسمح بالقتل الجماعي و لا بقتل الأشخاص الذين لا يحملون السلاح...

---

1 - مرتضى المطهري ... محاضرات في الدين و الاجتماع، ط 1، الدار الإسلامية، بيروت، 2000، ص 599.

2 - سيد قطب، المرجع السابق، ص ص 22، 29.

فالعدل موجود حتى في أيام الحرب و الصدام فالقواعد الإنسانية لا يجب إهدارها حتى في زمن المواجهة.

وفي وصية الرسول (صلى الله عليه وسلم) لقواد جيشه في غزوة مؤتة " أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيرا، أغزو باسم الله في سبيل الله من كفر بالله، لا تغدروا و لا تغلوا ولا تقتلوا وليدا و لا إمرأة و لا كبيرا و لا منعزلا بصومعته و لا تحرقوا نخلا و لا تقطعوا شجرا و لا تهدموا بناءا. " دليل على أن السلاح لم يكن البتة خطرا يهدد البشرية ما دامت الأيدي التي تتصرف به نظيفة طاهرة " [1].

وعلى ضوء ما سبق تتضح حقيقة و طبيعة و أبعاد ومنهج الرسالة الاسلامية و مشروعية الجهاد لإنقاذ الإنسان والإنسانية ومن أهم هذه الجوانب:

1- أن إقرار العقيدة لمبدأ السلم لا يتعارض و إقرارها لمبدأ الجهاد فليس في دين الله خطاب بالجهاد وآخر بالسلم...فالقيم التي دعا إليها القرآن الكريم لا تتعارض فيما بينها، بل تعمل في إنسجام و تفاعل يتجه إلى خير البشرية في الدنيا و الآخرة.

2- إن أي محاولة للفصل بين الكلمة و السيف و بين السلم و الجهاد، هي في الحقيقة محاولة للإنتهاء بالإسلام إلى ما انتهت إليه المسيحية ".

" فمن ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الآخر، و من أخذ رداءك فلا تمنعه ثوبك " [2] وهو وضع يرفضه الإسلام و ترفضه طبيعة الإسلام... فالإسلام ينطلق من مبدأ:
﴿ و لله العزة و لرسوله و للمؤمنين ﴾ [1]

---

1 - مصطفى الرافعي ... المرجع السابق، ص 165.
2 - إنجيل متى، 5 : 38.

؛ ﴿ فلا تهنوا و تدعوا إلى السلم و أنتم الأعلون و الله معكم ولن يتركم أعمالكم﴾[2]

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: " من قاتل دون ماله فهو شهيد، ومن قاتل دون أهله فهو شهيد، ومن قاتل دون دمه فهو شهيد، ومن قاتل دون دينه فهو شهيد، ومن قاتل دون مظلمته فهو شهيد"[3]. فالسلم شيء و الاستسلام شيئا آخر.

3 – إن الحروب المشروعة في العقيدة الإسلامية " لتكون كلمة الله هي العليا "، وهي مجرد وسيلة و ليست غاية في ذاتها ... لتجعل منها وسيلة لفسح المجال لعودة الحوار بالكلمة.

4 – لقد رفض الإسلام مهادنة الشرك و الوثنية، لأنه اعتبرها غريبة على الإنسان والحياة. وقال تعالى : ﴿ قل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون * و لا أنتم عابدون ما أعبد * ولا أنا عابد ما عبدتم * و لا أنتم عابدون ما أعبد * لكم دينكم و لي دين ﴾ [4] في حين طالب بمجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، لقوله تعالى: ﴿ و لا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ﴾ [5]

---

1 – سورة المنافقون : الآية 8.

2 – سورة محمد : الآية 35.

3 – سنن النسائي، كتاب تحريم الدم، رقم : 4026.

4 – سورة الكافرون، 1 إلى 6.

5 – سورة العنكبوت: الآية 46.

إن دعوة العقيدة الإسلامية إلى التعايش السلمي بين الأديان ترتكز على نقاط اللقاء لئلا يتحول الصراع المتحرك إلى وضع ينسف قيام التعايش من الأساس[1] . مع التأكيد على أن دعوة الإسلام إلى التعايش السلمي بين الأديان لا تلغي عوامل الصراع التي لا بد أن تظهر "[2].

حيث يظل الحوار و التعايش مع إحتفاظ كل طرف بما يعتقده دون لجوء الى العنف والقتل وهو المنهج الحضاري اللائق لعلاج مختلف أسباب الخلاف والعنف لتحقيق الوحدة الإنسانية.

5- طبيعة المسالمة في الإسلام و أنه ليس دينا جاء لسفك الدماء " وإن جنحوا للسلم فاجنح لها "

6- رفض الإسلام للعنف على أي مستوى و في أي بعد من العنف الفكري إلى العنف الاجتماعي.

7- إن تركيز العقيدة الإسلامية على تربية الفرد و الضمير سببه أن الحروب و السلام تبنى أو لا قبل كل شيء في ضمائر الأفراد قبل أن تبنيها الأمم و الشعوب.

8- التأكيد الإسلامي على أهمية عنصر الوحدة الإنسانية بين بني البشر لأنه الأساس الوحيد القادر على إيجاد جو من الانسجام العاطفي و الروحي، وبدون هذا الأساس لن تكون المجتمعات البشرية إلا عرضه للإنقسام و التطاحن و الفتن ... تحت ضغط العصبيات و الأهواء ...

---

1 – التعايش السلمي : ويعني التفاهم الدولي و إزالة حدة التوتر في العلاقات الإنسانية (سموحي فوق العادة، موجز المذاهب السياسية، ط 1، دار اليقظة العربية، سوريا، 1972، ص : 37)

2 – حسين فضل الله. الحوار في القرآن. جزء 1، دار المنصوري للنشر، الجزائر، ص : 123.

9- الحرص على قدسية القانون الأخلاقي لأنه كلما إهتز القانون الأخلاقي، إهتزت معه شبكة العلاقات الاجتماعية و تمزقت ... لأنه الموجه الرئيسي لكل نشاط إنساني.

10- إن دعوة القرآن إلى جملة من التوجيهات الأخلاقية، و الاجتماعية و النفسية و السياسية ... كالدعوة إلى العدل و التقوى و الشورى... والزواج و العمل...إلخ. و النهي عن الظلم و الفسق والفواحش و الربا...إلخ، تشكل جدار الحماية من العنف الفردي و الجماعي، لأن تلك التوجيهات تعبر عن تحرير حقيقي من كافة أشكال العبوديات لغير الله كالعبودية للشيطان و الأشخاص و المال والتقاليد... إلخ [1].

ولم يكتف الإسلام برفض العنف بل إنّه أقرّ عدّة من شأنها إنهاء و إستئصال هذه الظاهرة من جذورها منها:

أ- إقرار مبدأ التعارف بين بني البشر:

لقوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾ [2]

و مبدأ التعارف يستأصل دوافع التباغض و التصارع و التحاسد ... بما يرسخه من قيم التراحم والتعاطف و وحدة المشاعر و الأحاسيس...فمن مقتضيات هذه العلاقة تبادل المصالح و تقوية الصلات الإنسانية و الإخلاء العالمي.

ب- إحترام الإنسان من حيث هو إنسان

---

1 - سيد قطب ، السلام العالمي و الإسلام ، ط 5، دار الشروق، القاهرة، 1970، ص ص : 13 - 29.

2 - سورة الحجرات : الآية 13.

لقد إحترم الإسلام الإنسان و كرمه من حيث هو إنسان بغض النظر عن دينه و جنسه ووطنه ولونه... قال تعالى: ﴿ و لقد كرمنا بني آدم و حملناهم في البر و البحر و رزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ [1]

ومن ثمار هذا التقدير للإنسان و الإعتراف بحقوقه في الحياة و التملك و التعبير ... أن يرفع البغضاء من النفوس لتحل محلها الرحمة و الود و التعارف ...

ج– حرية الاعتقاد

لقوله تعالى : ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾ [2]

و قال أيضا : ﴿و لو شاء ربك لأمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ [3] ولم تكن مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم، إلا أنه مبلغ عن الله.

قال تعالى : ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا و مبشرا و نذيرا وداعيا إلى الله بإذنه و سراجا منيرا ﴾ [4]

وليس هناك أصر على الإنسان، و لا على المجتمع، من أن يضل الإنسان في الاعتقاد لأنه حينئذ لا يفكر تفكيرا خاطئا فقط، و إنما يسلك سلوكا سيئا لا يعود منه على نفسه و على مجتمعه إلا ما سضرهما معا [5].

1 – سورة الإسراء : الآية 70.

2 – سورة البقرة : الآية 256.

3 – سورة يونس : الآية 99.

4 – سورة الأحزاب : الآية 45.

5 – محمد البهى : الدين و الحضارة الإنسانية : مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، ص ص : 166 – 167.

د- حرية التفكير و التعبير:

لتفكير الحر بحثا عن الحق ليس مجرد حق فحسب، بل هو واجب كذلك، لقوله تعالى: ﴿ قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى و فرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ﴾

هـ- إحترام مشاعر المخالفين في الدين فلا يجوز لأحد أن يسخر من معتقدات غيره و لا أن يستدعي المجتمع عليه ، لقوله تعالى: ﴿ و لا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون ﴾ [1]

و- إلتزام مبدأ المساواة و العدل

﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات و أنزلنا معهم الكتاب و الميزان ليقوم الناس بالقسط ﴾ [2] وقال أيضا : ﴿ يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق و لا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾ [3]

ز- الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر:

وهي الدعامة الأساسية التي يرتكز عليها صرح الأخلاق في المجتمع وهل لعن بنو إسرائيل إلا لأنهم تركوا المر بالمعروف و النهي عن المنكر، قال تعالى:

---

1 - سورة الأنعام : الآية 108.

2 - سورة الحديد : الآية 25.

3 - سورة ص : الآية 26.

﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا و كانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم و في العذاب هم خالدون ﴾ [1]

ح- الدعوة إلى الإلتزام الأخلاقي التعبدي:

﴿و أوفوا بعهد الله إذا عاهدتم و لا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا﴾ [2]

فإذا جئنا إلى تاريخ الإسلام وتاريخ الفتوحات الإسلامية التي كتب عنها الكثير فنكتفي ببعض الشهادات منها شهادة جوستاف لوبون الذي يقول : " لم يعرف التاريخ أرحم من العرب الفاتحين "

كما أنّ جعل السبب الاقتصادي هو الدافع لحركة الفتوحات يرده فتح المسلمين لأراضي وبلدان لاتملك ثروات ولا خيرات... كما أنّ نسبة المسلمين الذين استقروا في البلدان المفتوحة لم تتجاوز 20 % . و ما حضارة المسلمين من طشقند إلى الأندلس إلا دلائل على الإبداع و الحرية في وقت كان العالم الإسلامي بامتداده الكبير في ثلاث قارات يضم قوميات و جنسيات متعددة الأعراف و اللغات دونما تنازع أو صراع.

وفي الأخير نطرح بعض التساؤلات التي من شأنها إلقاء مزيد من الضوء لفهم ظاهرة العنف من جانبها الاديولوجي ومن جانبها الاجرائي منها:

---

1 - سورة المائدة : الآيات 78 – 80.

2 - سورة النحل : الآية 91.

— من المسئول عن الحربين العالميتين الأولى و الثانية وعن ملايين الضحايا.وهل هناك مجال للمقارنة بين عدد قتلى حركة الفتوحات وعدد ضحايا الحروب المعاصرة.

— من المسئول عن عشرات المستعمرات في آسيا و إفريقيا و أمريكا اللاتينية.

— من يدعم نظرية الفوضى الخلاقة اليوم باسم حرية الأقليات لتقطيع الدول الوطنية وماذا تفعل أمريكا و حلفاءها في العراق و في أفغانستان و في أجزاء من الوطن العربي و من يدعم الجماعات المتطرفة في أكثر من دولة ومن.... ومن...

بقي أن أشير إلا أن سلوك فئة من المسلمين اختارت العنف و التخريب و التشدد والمغالاة في معاداة كل مظاهر المدنية طريقا شكلت من أهم الأسباب في نظرة الغرب العدائية للإسلام.وهو ما يجعل الأمة مسئولة عن ترشيد هذه الفئة من المسلمين و عدم الخلط بين الاسلام والمسلمين.

وفي الأخير إن الذين يدرسون ظاهرة العنف في محاولات لربطها بالإسلام عليهم أن يغيروا من اتجاهاتهم و ليبحثوا عن أسبابها و مصادرها في غير الإسلام فقد كان الإسلام دوما ثورة ضد العنف في مختلف أشكاله وصوره و أقام منهجه و تاريخه و على السلم لا غير.

